

البيت المرواني

الوليد الثاني بن يزيد ١٢٥-١٢٦هـ / ٧٤٣-٧٤٤م

يزيد الثالث بن الوليد بن عبد الملك ١٢٦هـ / ٧٤٤م

إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك ١٢٧هـ / ٧٤٥م

الفصل الحادي عشر



obeykandl.com

الوليد بن يزيد

هو أبو العباس الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان . حكم سنة واحدة وشهرين من (١٢٥ - ١٢٦ هـ) . أمه بنت محمد بن يوسف الثقفي أخي الحجاج . تولى الحكم في دمشق بعد وفاة عمه هشام بن عبد الملك ، وقتل من قبل جنده في الحرب التي وقعت بينه وبين ابن عمه يزيد بن الوليد سنة ١٢٦ هـ (٧٤٤ م) ، كان على رأسهم محمد بن خالد القسري البجلي وكان ذلك في قصر النعمان بن بشير بالبخراء ، وحمل رأسه إلى دمشق فتصب بالجامع . وكان الوليد أمر بالتبض على خالد بن عبد الله القسري البجلي وتعذيبه حتى مات ، مات الوليد وعمره ٢٨ سنة ، ومدة حكمه قصيرة مقارنة بحكام بني أمية السابقين .

يزيد الثالث بن الوليد

هو يزيد الثالث بن الوليد بن عبد الملك بن مروان (٨٦-١٢٦ هـ، ٧٠٥م-٧٤٤م) الخليفة الأموي الثاني عشر. توفي بعد توليه الخلافة بقليل فلم يدم حكمه أكثر من ستة أشهر. سمي بيزيد الناقص لأنه أراد أن يقتدي بعمربن عبد العزيز، فأنقص رواتب الجيش أسوة بعمربعد أن كان يزيد الثاني الخليفة الأموي قد زادها بعد توليه الخلافة. تولى الحكم بعد قيامه بانقلاب على ابن عمه الوليد بن يزيد حينما استطاع إلقاء القبض على الوليد الثاني في قصره وقتله. كانت نفسه تميل للإصلاح وكان متقشفاً. ولي عهده أخوه إبراهيم بن الوليد. كان أول من خرج بالسلاح في العيدين، سوف يرد تفصيل لسيرته في الصفحات القادمة.

إبراهيم بن الوليد

هو أبو إسحاق إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك الخليفة القرشي الأموي، بويع بدمشق عند موت أخيه يزيد « سنة ١٢٦ هـ » ، وكان أبيض جميلاً وسيماً طويلاً إلى السمن أقرب ، قال معمر : رأيت رجلاً من بني أمية ، يقال له : إبراهيم بن الوليد ، جاء إلى الزهري بكتاب عرضه عليه ، ثم قال : أحدث به عنك ، قال : إي لعمري فمن يحدثكموه غيري . قال أبو معشر : مكث إبراهيم بن الوليد سبعين ليلة ثم خلع ، ووليها مروان الحمار . قلت : وعاش إلى سنة اثنتين وثلاثين ومئة مسجوناً ، وكان ذا شجاعة وأمّه **بربرية** ، ولم يستقم له أمر فكان جماعة يسلمون عليه بالخلافة وطائفة بالإمرة وامتنع جماعة من بيعته وقيل : **يباع إبراهيم في كل جمعة ... إلا إن أمراً أنت واليه ضائع**

الأوضاع الداخلية في عهد الوليد بن يزيد بن عبد الملك

يذكر التاريخ جنايات كثيرة **للوليد بن يزيد بن عبد الملك** -الوليد الثاني- على الدولة الأموية، وكان أعظمها إفساده بني عميه هشام، والوليد، والوزراء، والولاة اليمانية وهم الدولة، فقد قام بجلد ابن عمه سليمان بن هشام وتغريبه إلى **عمّان** لأمور كان ينقمها من أبيه وهو ولي عهده، وكان سليمان محبوباً معدوداً من أكابر الرجال علماء وسياسة ودراية بالحروب، ومعرفة بحيلها ومكائدها.

كما أراد الوليد بن يزيد البيعة لابنيه الحكم، وعثمان وكانا غلامين، وسجن الوزير سعيد بن صهيب لنهيهِ إياه عن البيعة لابنيه، فغضب عليه وتركه في السجن حتى مات، وعرض أمر البيعة لابنيه على خالد ابن عبد الله القسري فرفض، وكان خالد رأس ولاة الأمويين، وشيخ وزرائهم، وأعظم قائد لجند اليمانية، فغضب الوليد الثاني على خالد. ومما زاد من غضبه أن خالد القسري تكتم على اليمانية الذين كانوا يخططون لاغتياله، ولم يدلّه عليهم، فقد كان الوليد الثاني على علم بما أجمع عليه زعماء مضر وقضاة واليمانية من الفتك به، فأبى أن يكشف خالد بما علم من اتقاء الفتنة^(١).

ثم أمر بحبس خالد ودفعه إلى يوسف بن عمر أمره أن يستأدي منه أموال العراق أيام كان عليه؛ فقبض منه خمسين مليون درهم، وسار به يوسف بن عمر إلى العراق ومكث في العذاب إلى أن مات قتيلاً سنة ١٢٦هـ، وكان آل القعقاع يتولون أهم الولايات فكان الوليد بن القعقاع على قنشرين وعبد الملك أخوه على حمص فعملهما وعين يزيد بن عمر بن هبيرة، ودفع إليه آل القعقاع فمذبهم ونكل بهم حتى مات الوليد بن القعقاع وأخوه عبد الملك في العذاب، ورجلان من آلهم.

ونظراً لهذه الأسباب فقد اضطغن على الوليد آل هشام والوليد ابنا عبد الملك، وآل القعقاع، واليمانية، ومضر، وألبوا عليه الأمة^(٢).

وسرعان ما اندلعت الثورة ضد الوليد الثاني في **دمشق** بزعامة يزيد بن الوليد بن عبد الملك، وساندته اليمانية بكل ثقلها، وتم السيطرة على العاصمة وقتل الوليد بن يزيد، وانقرط عقد الأسرة الأموية بفرعها السفلي والمرواني في سبيل الحصول على الحكم. وبدأ الصراع القبلي يأخذ منحى أشد ضراوة وخطورة.

الحركات الداخلية في عهد الوليد الثاني سنة ١٢٦ هـ والتي آلت إلى مقتله



الثورات التي أعقبت مقتل الوليد الثاني سنة ١٢٦ هـ

١ ثار أهل حمص وكاتبوا الأجناد ودعواهم إلى الطلب بدم الوليد فأجابوهم وعقد هؤلاء الثوار بينهم عقداً تحالفوا عليه، خلاصته أن لا يدخلوا في طاعة يزيد بن الوليد بن عبد الملك.

٢ تجهز أهل حمص وساروا إلى دمشق حتى وافوا عنراء وهي على أربعة عشر ميلاً من العاصمة الأموية. فتهد إليهم عبد العزيز بن الحجاج في ثلاثة آلاف وأمره أن يثبت على عقبة السلام، وحين التقى الجيشان بالثائرين حمل عبد العزيز بن الحجاج فانهمز الثوار فتبعهم عبد العزيز فتداه يزيدي بن خالد القسري: "الله الله في قومك" فكف عنهم على أن يبايعوا ليزيد، وأرسل وجوههم إلى دمشق معتقلين، ولما وصلوا بايعوا مع أهل دمشق ليزيد، فعفا عنهم وأعطاهم أموالاً واستعمل عليهم معاوية بن يزيد بن حصين برضاهم.

٣ ثورة أهل فلسطين، ثار أهل فلسطين لما أتاها نواب مقتل الوليد وكان رئيسهم يومئذ سعيد بن روح بن زنباع. فكتب إلى يزيد بن سليمان بن عبد الملك: أن الخليفة قد قُتل، فأقدم علينا نوابك أمرنا. فجمع له سعيد قومه وكتب إلى عامل فلسطين سعيد ابن عبد الملك وهو نازل بالصبخ. ارتحل عتاً فإن الأمر قد اضطرب وقد وئنا أمرنا رجلاً ارتضيناه. فخرج ولحق بيزيد بن الوليد. د. علي الصلابي، الدولة الأموية، ج ٢، ص ٥٣١.

٤ ثورة أهل الأردن، بلغ أهل الأردن ما فعل الفلسطينيين، فتابعوهم وولوا عليهم محمد بن عبد الملك، فبعث إليهم يزيد سليمان بن هشام في أجناد دمشق وحمص، فارتحل بالجنود إلى أن أشرف على طبرية، فوافاه إليها الثوار، فأرسل إليهم رسولهم محمد بن راشد يكلم سعيداً وضبعان ابني روح، والحكم وراشد ابني جبر، فلقبهم فوعدهم ومثاهم على الدخول في طاعة يزيد فبايعوه على الرضا وصرفوا الجنود ووقى الله منهم، ووفى لهم يزيد بما وعدهم محمد بن راشد من الولايات، ثم تحول سليمان بجنوده إلى الرملة وأخذ البيعة على أهلها. د. علي الصلابي، الدولة الأموية، ج ٢، ص ٥٣١.



سلامة الوليد من الزندقة والكفر :

زيف بعض الرواة حديثاً رموا فيه الوليد بالتجبر والكفر وجعلوا توليه الخلافة نذيراً بانتهيار الدولة الأموية، ويشيراً بقرب قيام الدولة العباسية، وهو حديث رواه أحمد بن حنبل فقال : حدثنا ابن عباس قال : حدثني الأوزاعي وغيره عن الزهري، عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : ولد لأخي أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم غلام فسموه الوليد، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : سميتوه بأسماء فراعنتكم ليكونن في هذه الأمة رجل يقال له : الوليد فهو شر على هذه الأمة من فرعون لقومه وإسناد الحديث ضعيف لانقطاعه، فسعيد بن المسيب لم يدرك عمر بن الخطاب إلا صغيراً ولم يرو عنه، وإنما روى عن غيره من الصحابة الذين ذكرهم ابن سعد . والراجح أن الحديث موضوع . ونقل علماء اليمينية كالأزدي، وعلماء الشيعة كالشريف المرتضى، أن الأوزاعي سأل الزهري : أي الوليدين هو ؟ فقال : إن استخلف الوليد بن يزيد فهو هو، وإلا فهو الوليد بن عبد الملك ، فلما استتب الأمر للعباسيين وثبت سلطانهم، عزف خلفاؤهم وأمرأؤهم وولاتهم عن قذف الأمويين بالخروج على الإسلام، فخلت خطبهم من تكفير الأمويين، وصداً المهدي والرشيدي الرواة الذين كانوا يداهنونهما عن التعريض بالأمويين وتجريحهم، بل إنهما انتصرا للوليد، ونفيا عنه تهمة الزندقة ونزهاه عنها، إذ إن المهدي كان إذ ذكر الوليد في مجلسه يقول : رحمه الله، ولا رحم قاتله، فإنه كان خليفة مجعماً عليه. وقيل له : إن الوليد كان زنديقاً، فقال : إن خلافة الله أعز وأجل من أن يوليها من لا يؤمن. ويروى أن ابناً للغمر بن يزيد ابن عبد الملك دخل علي الرشيد فقال ممن أنت ؟ قال : من قريش. قال : من أيها ؟ فأمسك. قال : قل وأنت آمن، ولو أنك مرواني. قال : أنا ابن الغمر بن يزيد . قال : رحم الله عمك، ولعن يزيد الناقص وقتله عمك جميعاً، فإنهم قتلوا خليفة مجعماً عليه. ارفع حوائجك فرفعها فقضاها وقد تنبه كثير من المؤرخين إلى أن الأخبار التي تقدح في دين الوليد وتتهمه بالزندقة مصنوعة، فتوقف فريق منهم عندها، وتحرجوا من رواياتها ولم يستطيعوا القطع برأي فيها، منهم ابن شاکر فإنه يقول : اتهمه بعضهم بالزندقة والانحلال والله أعلم. والياضي يقول : ذكروا عنه أشياء قبيحة في الدين والعرض أكره ذكرها، والله أعلم بذلك. ولكن فريقاً من المؤرخين رفضوها، وجزموا بوضعها، وأشار بعضهم إلى أنها أثر من آثار السياسة، منهم ابن الأثير فإنه يقول : وقد نزه قوم الوليد بن يزيد مما قيل فيه، وأنكروه ونفوه عنه وقالوا : إنه قيل عنه، وألصق به، وليس بصحيح، والذهبي يقول : لم يصح عن الوليد كفر ولا زندقة، وابن خلدون فإنه يقول : لقد سارت القالة فيه كثيراً وكثير من الناس نفوا ذلك عنه وقالوا : إنها من شتاعات الأعداء، ألصقوها به ، وابن تغري بردي فإنه يقول : ذكر عنه بعض أهل التاريخ أموراً استبعد وقوعها، وكرر السيوطي. رأي الذهبي واقتصر عليه. وهذا هو الصحيح والله أعلم إن مقتل الوليد بن يزيد وقتال الأمويين بعضهم لبعض حطمت قواهم وعجلت بزوالهم . د . علي الصلابي، الدولة الأموية، ج ٢، ص ٥٢١ - ٥٢٢ .

خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك سنة ١٢٦ هـ

خطبة يزيد بن الوليد

خطب أمير المؤمنين يزيد بن الوليد الناس بدمشق فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أيها الناس والله ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا حرصاً على الدنيا ولا رغبة في الملك وما بي إطرأ نفسي وإني لظلم لها، ولقد خسرنا إن لم يرحمني ربي، ولكني خرجت غضباً لله ودينه، وداعياً إلى الله وسنة نبيه، لما هدمت معالم الهدى، وأطفئ نور النور وظهر الجبار المنيد المستحل لكل حرمة، والراكب لكل بدعة، مع أنه والله ما كان يؤمن بيوم الحساب، ولا يصدق بالشواب والمقاب، وإنه لا ين عمي في النسب وكفى في الحساب فلما رأيت ذلك استخضرت الله في أمره وسألته أن لا يكتني إلى نفسي، ودعوت إلى ذلك من أجابني من أهل بيتي حتى أراح الله منه العباد وظهر منه البلاد بحول الله وقوته لا بحولي وقوتي: أيها الناس إن لكم عليّ أن لا أضع حجرأ على حجر ولا لبنه على لبنه، ولا أكرى نهراً ولا أكنز مالاً، ولا أعطي زوجاً ولا ولدأ، ولا أنقل مالاً من بلد إلى بلد حتى أسد فقر ذلك البلد وخصاصة أهله بما يفتنيهم، فإن فضل فضل نقلته إلى البلد الذي يليه ممن هو أحوج إليه منه وأن لا أجركم في ثورتكم فاهتكم أهليكم، وأغلق بابي دونكم، فإياكم قويمكم ضيفكم، ولا أحمل على أهل جزيتكم ما أجلبهم به عن بلادهم وأقطع نسلهم، ولكن عندي أعطيائكم في كل سنة، وأرزاقكم في كل شهر، حتى تستدبر المعيشة بين المسلمين فيكون أقصاهم كأدناهم، فإذا أنا وفيت لكم فعليكم بالسمع والطاعة وحسن المواظرة والمكاتبة، وإن أنا لم أوف لكم فلكم أن تخلصوني، إلا أن تستيبوني، فإن أنا ثبت قيلتم مني، وإن عرفتكم أحدأ يقوم مقام من يعرف بالصلاح يعطيكم من نفسه مثل ما أعطيكم فأردتم أن تبايعوه فأنا أولى من بايعه ودخل في طاعته. أيها الناس، لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، وأمه شاه أفريد بنت فيروز بن يزجرد، آخر ملوك الفرس، وكان يجمع في أصوله بين الدم العربي والفارسي والرومي والتركي، فجده لأبيه عبد الملك بن مروان، وهو عربي، وجده لأمه فيروز بن يزجرد وهو فارس وجدة جده لأمه ابنة قيصر، وأم جدته لأمه ابنة خاقان الترك، فكان يفخر ويقول:

أنا ابن كسرى وأبي مروان وقيصصر جدي وجدي خاقان

لما وافت يزيد البشائر بخمود الفتن خرج إلى الجامع في موكب مشهود وألقى ما يسمونه في العصور الحديثة خطاب العرش وقد ضمن فيه أصول سياسته في الحكم. وتعتبر خطبته أوفى صياغة لمشروعه « انظر المستند » وفي عهده لم يكن لعلماء أهل السنة والجماعة مجال، حيث تبني يزيد طائفة القدرية - اتباع غيلان الدمشقي - والتف حوله أقطابها وأفسح لهم المجال إذ قاموا بنصرته في خلعه للوليد وقتله. ومن منهجهم إذا كانت لهم السلطة ويبدعهم مقاليد الأمور أن عليهم أن يحملوا الناس على مذهبهم واعتقاد مبادئهم فلذا لن يقبلوا من العلماء المخالفين لهم مزاحمة، بل لعلمهم كانوا يهيئون لإحداث محنة بهم وقد بدت بوادر هذه المحنة حيث يذكر بعض المؤرخين أن يزيد بن الوليد لما تم له الأمر دعا الناس إلى القدر وحملهم عليه. ولكن الله حال بينه وأصحابه وبين ما يشتهون حيث لم تدم خلافته أكثر من ستة أشهر، وكما قال الذهبي: ولكنه لم يمتع وما بلغ ريقه^(١).

وفاته: مات يزيد الناقص في سابع ذي الحجة سنة ست وعشرين ومائة، فكانت دولته ستة أشهر، ومات. وكان شاباً أسمر نحيفاً، حسن الوجه، وقيل: مات بالطاعون، وبويع من بعده أخوه إبراهيم بن الوليد، ودفن بباب الصغير وكان آخر ما تكلم به: واحسرتاه وأسفاه. وكان نقش خاتمه يا يزيد قم بالحق^(٢).

خلافة إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك سنة ١٢٧ هـ^(١)

استهلت هذه السنة والخليفة **إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك** بوصية أخيه يزيد الناقص إليه، وبايعه الأمراء بذلك، وجميع أهل الشام إلا أهل **حمص** فلم يبايعوه، وقد تقدم أن مروان بن محمد الملقب بالحمار كان نائباً بأذربيجان وأرمينية، وتلك كانت لأبيه من قبله، وقد كان نقم على يزيد بن الوليد في قتله الوليد بن يزيد، وأقبل في طلب دم الوليد، فلما انتهى إلى حران أناب وبايع يزيد بن الوليد، فلم يلبث إلا قليلاً حتى بلغه موته، فأقبل في أهل الجزيرة حتى وصل قنسرين فحاصر أهلها فنزّلوا على طاعته، ثم أقبل إلى حمص وعليها عبد العزيز بن الحجاج من جهة أمير المؤمنين إبراهيم بن الوليد فحاصروهم حتى يبايعوا لإبراهيم بن الوليد، وقد أصروا على عدم بيعته، فلما بلغ عبد العزيز قرب مروان بن محمد ترحل عنها، وقدم مروان إليها فبايعوه وساروا معه قاصدين دمشق، ومعهم جند الجزيرة وجند قنسرين، فتوجه مروان إلى دمشق في ثمانين ألفاً، وقد بعث إبراهيم بن الوليد سليمان بن هشام بن عبد الملك في مائة وعشرين ألفاً، فالتقى الجيشان عند **عين الحر** من البقاع، فدعاهم مروان إلى الكف عن القتال وأن يتخلوا عن ابني الوليد بن يزيد وهما الحكم وعثمان اللذان قد أخذ العهد لهما، وكان يزيد قد سجنهما بدمشق، فأبوا عليه ذلك، فاقتتلوا قتالاً شديداً من حين ارتقاع النهار إلى العصر، وبعث مروان سرية تأتي جيش سليمان بن هشام من ورائهم، فتم لهم ما أرادوه، وأقبلوا من ورائهم يكبرون، وحمل الآخرون من تلقاهم عليهم، فكانت الهزيمة في أصحاب سليمان، فقتل منهم أهل حمص خلقاً كثيراً واستبيح عسكرهم، وكان مقدار ما قتل من أهل دمشق في ذلك اليوم قريباً من سبعة عشر ألفاً أو ثمانية عشر ألفاً وأسروا منهم مئلتهم، فأخذ عليهم مروان البيعة للغلامين ابني الوليد، الحكم وعثمان، وأطلقهم كلهم سوى رجلين وهما يزيد بن العقار والوليد بن مصاد الكلبيان، فضربهما بين يديه بالسياط وحبسهما فماتا في السجن، لأنهما كانا ممن باشر قتل الوليد بن يزيد حتى قتل. وأما سليمان بن هشام وبقية أصحابه فإنهم استمروا منهزمين، فما أصبح لهم الصبح إلا بدمشق فأخبروا أمير المؤمنين إبراهيم بن الوليد بما وقع، فاجتمع معهم رؤوس الأمراء في ذلك الوقت وهم عبد العزيز بن الحجاج ويزيد بن خالد بن عبد الله القسري، وأبو علاقة السكسكي، والأصمغ بن ذؤالة الكلبي ونظراؤهم، على أن يعمدوا إلى قتل ابني الوليد الحكم وعثمان، خشية أن يلجأ الخلافة فيهلكا من عاداهما وقتل أباهما، فبعثوا إليهما يزيد بن خالد بن عبد الله القسري، فعمد إلى السجن وفيه الحكم وعثمان ابنا الوليد وقد بلغا، ويقال وولد لأحدهما ولد فشدها بالعمد، وقتل يوسف بن عمر. وكان مسجوناً معهم. وكان في سجنهما أيضاً أبو محمد السفيناني فهرب فدخل في بيت داخل السجن وجعل وراء الباب ردماً، فحاصروه فامتنع، فأتوا بنار ليحرقوا الباب. ثم اشتغلوا عن ذلك بقدوم مروان بن محمد وأصحابه إلى دمشق في طلب المنهزمين. أ. هـ.

١ - ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، ج ٩، ص ٢٥٢.

